

فوائد تعلم الأنساب

لا شك أن الأمر لا تدرك أهميته إلا بمعرفة فوائده وفوائده .. ومن ذلك العلم بفروعه، ففوائده لا تحصى ، ولكن قد يشكك بعض الناس في أهمية بعض العلوم كعلم الأنساب فيقول قائلهم: هل في صرف الأوقات في معرفة الأنساب نفع ديني أو دنيوي ؟ فنقول : نعم ، لمعرفة الأنساب فوائد دينية ودنيوية تدخل في أبواب شتى من الفقه والمعاملة واختيار الأكفاء للقيادة وغيرها . ونجد ابن عبد البر يقول فيمن يرى عدم فائدة علم النسب : (ولعمري ما أنصف من زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر)^(١) .. ولذلك اهتم العرب به اهتماماً بالغاً . قال الخفاجي : وأما مراعاة الأنساب وحفظها وذكر الأصول والبحث عنها فباب تفردت به العرب فلم يشاركها فيه مشارك ولا ماثلها فيه مماثل^(٢) . وقال النويري : (ومعرفة أنساب الأمم مما افتخرت به العرب على العجم؛ لأنها احترزت على معرفة نسبها، وتمكنت بتمتين حسبها، وعرفت جماهير قومها وشعوبها، وأفصح عن قبائلها لسان شاعرها

الأستاذ :
عبد العزيز
ابن سعد
الدغيث*

* بكالوريوس
هندسة
ميكانيكية من
جامعة الملك
فهد بالظهران
١٤١٩هـ .
- له بعض
المشاركات
بالكتابة في
الصحف
والمجلات
المحلية.

(١) الإنباه / ٤٣ .

(٢) سر الفصاحة / ٥٢ .

الطريفة

السنة السادسة

العددان: الحادي والعشرون والثاني والعشرون

٢٨٥

ربيع الأول ١٤٢٤هـ / مايو ٢٠٠٣م
جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ / أغسطس ٢٠٠٣م

وخطيبها، واتحدت برهطها وفصائلها وعشائرها، ومالت إلى أفخاذها وعمائرها، ونفت الدعي فيها ونطقت بملء فيها^(١)، وقال ابن فارس في معرض ذكر العلوم التي اختص بها العرب: وللعرب حفظ الأنساب وما يعلم أحد من الأمم عني بحفظ النسب عناية العرب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^(٢) فهي آية ما عمل بمضمونها غيرهم، ومما خص الله جل ثناؤه به العرب: طهارتهم ونزاهتهم من الأدناس التي استباحها غيرهم من مخالطة ذوات المحارم وهي منقبة تعلقو بجمالها كل مآثرة والحمد لله^(٣).

وفي هذا البحث محاولة لجمع هذه الفوائد على وجه الإجمال والاختصار.

أولاً : الفوائد الفقهية:

الفائدة الأولى: أنه لا يمكن للمسلم القيام بحقوق أقاربه إلا بمعرفة نسبه .

وقد رغب الشارع الحكيم في الإحسان إلى الأقارب وذلك في عدة صور، منها :

١ - دفع الزكاة للمستحقين منهم ، كما في حديث سلمان بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذوي الرحم ثنتان: صدقة وصلة^(٤).

٢ - الإنفاق عليهم وإكرامهم ، قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْأَقْرَبِينَ...﴾^(٥) وفي معرض ذكر أسباب اقتحام العقبة التي هي مشقة الآخرة قال سبحانه : ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾^(٦).

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ١٧٦/٢ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية : ١٣ .

(٣) الصاحبى / ٤٣ .

(٤) رواه النسائي (٩٢/٥) والترمذي (٦٥٨) وسنده صحيح .

(٥) سورة البقرة ، الآية / ٢١٥ .

(٦) سورة البلد ، الآيتان : ١٤-١٥ .

٣ - برهم بأنواع الإحسان والتقدير لحديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن أحد الصحابة قال: يا رسول الله من أبر ؟ فقال رسول الله ﷺ: (أملك ثم أملك ثم أملك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب)^(١).

٤ - أن الله تعالى أمر من يتولى قسمة الموارث عند حضور من ليس له نصيب في الميراث من الأقارب أن تجبر خواطرهم بشيء من الميراث فقال تعالى ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٢).

٥ - الوصية لهم لقوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(٣) وقد نسخ الوجوب ، وبقي الاستحباب فيمن لا يرث .

٦ - الوقف عليهم ، ودليل ذلك أن أبا طلحة رضي الله عنه قال : يا رسول الله : إن الله تبارك وتعالى يقول : لَنْ تَأْكُلُوا الْبَرَّ حَتَّىٰ تُفَقُّوا مِمَّا تَحِبُّونَ^(٤) وإن أحب أموالي إلي بيرحاء ، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله ، فضعتها يا رسول الله حيث أراك الله . قال: فقال رسول الله ﷺ : بخ بخ ، ذلك مال رابح ذلك مال رابح ، وقد سمعت ما قلت وأرى أن تجعلها في الأقربين، فقال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله ، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه) متفق عليه^(٥) .

الفائدة الثانية : أن لأقارب رسول الله ﷺ أحكاماً خاصة بهم ولا يمكن

تطبيقها إلا بمعرفة أنسابهم ، فمن هذه الأحكام :

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢) وأبو داود (١٥٣٩) والترمذي وحسنه (٣٤٦/١) .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٨ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٨٠ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٩٢ ، وانظر تفسيرها في البغوي ٦٧/٢ .

(٥) أخرجه البخاري ٣/٣٢٥ ، ٤/٤٩٣ ، ٨/٢٢٣ ، ومسلم (٩٩٨) .

١ - أن الزكاة لا تدفع لبني هاشم بن عبدمناف^(١) - آل بيت رسول الله ﷺ - لما في الصحيحين واللفظ للبخاري أن الحسن أو الحسين أخذ ثمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فنظر إليه رسول الله ﷺ فأخرجها من فيه فقال : أما علمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة . وفي لفظ لمسلم : إنا لا تحل لنا الصدقة^(٢) . وهذا يكاد أن يكون إجماعاً في بني هاشم بن عبدمناف ، وأما بنو المطلب بن عبدمناف فرجح الشافعي وأحمد أن لهم نفس الحكم لما روى البخاري عن جبير ابن مطعم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد - وشبك بين أصابعه^(٣) . بل إن الإمام أحمد جعل للموالي حكم أسيادهم من آل البيت^(٤) لحديث أبي رافع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً من بني مخزوم على الصدقة فقال لأبي رافع : اصحبني كيما تصيب منها . فقال : لا ، حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله ، فانطلق فسأله ، فقال : إن الصدقة لا تحل لنا ، وإن موالي القوم من أنفسهم^(٥) .

كما أن الحنابلة اشترطوا في العاملين على الزكاة ألا يكونوا من ذوي القربى^(٦) واستدلوا بأن الفضل بن عباس والمطلب بن ربيعة بن الحارث سألوا النبي ﷺ أن

(١) المقنع مع الشرح ٢٨٩/٧ .

(٢) أخرجه البخاري ١٥٧/٢ ، ٩٠/٤ ، ومسلم ٧٥١/٢ .

(٣) أخرجه البخاري ١١١/٤ ، ٢١٨ ، ١٧٤/٥ ، وأبوداود ١٣١/٢ ، والنسائي ١١٨/٧ ، وابن ماجه ٩٦١/٢ .

(٤) المقنع مع الشرح ٢٩١/٧ .

(٥) رواه أحمد ٨/٦ ، وأبو داود ٣٨٤/١ ، والترمذي وحسنه كما في عارضة الأخوذى ١٥٨/٣ ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان .

(٦) المقنع مع الشرح ٢٢٤/٧ .

يبعثهما على الصدقة فأبى أن يبعثهما وقال : (إنما هذه الصدقة أوساخ الناس وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد) (١).

ولا يمكن معرفة آل البيت ولا مواليتهم إلا بتعلم هذا العلم ، فيلزم دافع الزكاة أن يتأكد من أن المحتاج إليها ليس من آل البيت ولا من مواليتهم ، ويلزم المحتاج أن يتأكد من أنه ليس من هذين الصنفين ، فإن كان من أحدهما فليس له أخذها .

٢ - أن قرابة رسول الله ﷺ لهم حق في الغنائم لقوله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ (٢) قال جبير بن مطعم رضي الله عنه : وضع رسول الله ﷺ سهم ذوي القربى في بني هاشم وبني المطلب (٣).

وقد ذكر ابن قدامة رحمه الله في المقنع أن حقهم هو خمس الخمس ، ويقسم بينهم كقسمة الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين غنيهم وفقيرهم سواء (٤) . ولا يعرف المستحق لذلك إلا بمعرفة الأنساب .

٣ - أن الفبيء وهو ما أخذ من مال مشرك بغير قتال كالجزية والخراج والعشر وما تركوه فزعا وخمس خمس الغنينة ومال من مات ولا وارث له يصرف في مصالح المسلمين ويبدأ ببني هاشم ثم بني المطلب ثم بني عبدشمس ثم بني نوفل ثم بني عبدعزى ثم بني عبدالدار ثم الأقرب من رسول الله ﷺ فالأقرب حتى تقتضي قریش - وهم بنو النضر بن كنانة - ثم الأنصار ثم سائر العرب ثم العجم والموالي من المسلمين (٥) . ولا يمكن تطبيق هذا الترتيب إلا بمعرفة الأنساب وتمييزها لأن كثيراً من الناس يدعون أنساباً لا تثبت .

(١) أخرجه مسلم ٧٥٢/٢ وأبو داود ١٣٢/٢ ، والنسائي ٨٠/٥ ، وأحمد ١٦٦/٤ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٤١ .

(٣) رواه أبو داود ١٣٢/٢ ، والنسائي ١١٩/٧ وسنده صحيح .

(٤) المقنع مع الشرح ٢٢٥/١٠ - ٢٢٦ .

(٥) الشرح الكبير ٢٢٥/١٠ - ٢٣٤ .

الفائدة الثالثة : أنه لا يمكن قسمة المواريث إلا بمعرفة الأنساب ، لأن الله تعالى قسم الورثة إلى وارثين بالفرض ووارثين بالتعصيب . وقد ذكر ابن حزم رحمه الله أن رجلاً توفي وليس له وارث ولم يعرف له معصب فأخبرهم ابن حزم بنسب الميت ومن يعصبه^(١) فلولاً علم النسب لضاع حق هذا الرجل من ميراث ابن عمه .

الفائدة الرابعة : أن بعض الفقهاء جعلوا الكفاءة في النسب شرطاً لصحة النكاح وهو رواية عن أحمد حيث ورد أنه قال : إذا تزوج المولى العربية فُرق بينهما . وقال : لو كان المتزوج حائكاً فُرقت بينهما . واستدلوا بالآتي :

١ - حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم^(٢) .

٢ - حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : العرب بعضهم أكفاء لبعض قبيلة بقبيلة ورجل برجل والموالي بعضهم أكفاء لبعض قبيلة بقبيلة ورجل برجل إلا حائك أو حجام^(٣) .

٣ - حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : العرب بعضهم أكفاء لبعض والموالي بعضهم أكفاء لبعض^(٤) .

٤ - قول عمر رضي الله عنه : لأمنعن تزويج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء . فُسئل : وما الأكفاء؟ قال : في الأحساب^(٥) .

(١) مقدمة الجمهرة / ٥ .

(٢) رواه الحاكم وابن ماجه كما في صحيح الجامع (٢٩٢٨) وصححه الألباني كما في الصحيحة (١٠٦٧) .

(٣) رواه الحاكم وسنده منقطع .

(٤) رواه البزار وقال عبدالحق الأشبيلي في أحكامه : منقطع ، فإن خالد بن معدان لم يسمع من معاذ ، وأقره ابن القطان .

(٥) رواه عبدالرزاق في المصنف ١٥٢/٦ ، والدارقطني في سننه ١٩٨/٣ ونسبه في المغني ٢٧٤/٧ إلى أبي بكر عبدالعزيز بإسناده وضعفه الألباني في الإرواء ٢٦٥/٦ .

٥ - قول سلمان الفارسي لجرير البجلي رضي الله عنهما : فإنكم معاشر العرب لا تتقدم في صلاتكم ولا ننكح نساءكم . إن الله فضلكم علينا بمحمد ﷺ وجعله فيكم^(١).

٦ - أن ذلك قد يسبب العداوة والشحناء وقد يضر بأقارب الزوجين .

وقال الجمهور باعتبارها في الجملة وليست شرطا لصحة النكاح؛ لأن الكفاءة المعتبرة هي الدين ، وهذا القول هو المفتى به وأدلته أظهر^(٢). قال ابن قدامة رحمه الله : والصحيح أنها غير مشترطة ، وما روي فيها يدل على اعتبارها في الجملة ولا يلزم منه اشتراطها^(٣).

وذهب المالكية وأحمد في رواية والثوري والحسن البصري إلى عدم اعتبارها مطلقا لآية الحجرات . وأجيب عليه بأن التفاضل بالتقوى إنما يكون بالنسبة لأحكام الآخرة^(٤).

وبالجملة فالأولى للمرء أن يتزوج النسبية الدِّينة فإن العرق دساس ، وقد يصل إلى الأبناء بعض الصفات الدنيئة بسبب الزواج من غير ذوي الشرف والخلق والدين " وقد قرر الأطباء بتجاربهم الطبية والعلمية أن الأمراض والأغراض والميل والنزعات والأخلاق يتوارثها الفروع عن الأصول وكذا علماء النفس وتكلم بذلك الشعراء والأدباء وتجيء بذلك الدماء المتفرعة من الأصول الأسرية والقبلية

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٢/٢٥٠ - ، ٦/١٢٥ وسعيد بن منصور في سننه ١/٦٤ وقال شيخ الإسلام : سنده جيد كما في الاقتضاء ١٥٨/ .

(٢) المقنع مع الشرح ٢٠/٢٥٣-٢٧٣ .

(٣) المغني ٩/٣٨٩ .

(٤) الهداية ٢/٤١٩ ويدائع الصنائع ٣١٥١٨ وكتاب النسب وأحكامه - د. محمود محمد حسن/ ١٥٤ .

والشعبية والجنسية مما يجعل المرء يتحرى في مصاهرته وزواجه النسب الزكي والصهر الأبوي^(١). ولا يمكن تحصيل ذلك إلا بمعرفة الأنساب والرجوع إلى النسابين، وقد قال ابن الجوزي: ينبغي للعاقل أن ينظر إلى الأصول فيمن يخالطه ويعاشره ويشاركه ويصادقه ويواجه أو يتزوج إليه، ثم بعد ذلك ينظر إلى الصور، فإن صلاحها دليل على صلاح الباطن. قال: وأما الأصول فإن الشيء يرجع إلى أصله، وبعيد ممن لا أصل له أن يكون فيه معنى مستحسن، فإن المرأة الحسناء إذا كانت من بيت رديء فقل أن تكون أمينة، وكذلك أيضاً المخالط والصديق والمباضع والمعاشر، فأياك أن تخالط إلا من له أصل يخاف عليه من الدنس، فبالغالب السلامة وإن وقع خلاف ذلك كان نادراً^(٢). وقيل إن جعفر بن سليمان بن علي عاب يوماً على أولاده وأنهم ليسوا كما يجب، فقال له ولده (أحمد بن جعفر): إنك عمدت إلى فاسقي مكة والمدينة وإماء الحجاز فأوعيت فيهن بضحك، ثم تريد أن ينجبوا، هلا فعلت في ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها^(٣).

ولا بد من التنبيه إلى أن النسبية غير الدينية لا تقدم على من هي أقل نسباً وأكثر تديناً لقوله ﷺ: "فاظفر بذات الدين تربت يداك"^(٤). ويحكى أن نوح بن أبي مريم قاضي مرو أراد أن يزوج ابنه فشاوور جاراً مجوسياً عاقلاً، فقال: إن رئيسنا كسرى كان يختار المال ورئيس النصارى قيصر كان يختار الجمال وجاهلية العرب كانوا يختارون الحسب والنسب، ورئيسكم محمداً كان يختار الدين، فانظر أنت بأيهم تقتدي^(٥).

(١) الشجرة الزكية في الأنساب ليويسف جمل الليل ٢٨/ عن المعجم اللطيف للشاطري ١١-١٥.

(٢) غذاء الألباب ٢/ ٤٠٦.

(٣) غذاء الألباب ٢/ ٤٠٧.

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة.

(٥) غذاء الألباب ٢/ ٤٢٥.

الفائدة الخامسة : معرفة ولي المرأة الذي بيده تزويجها ، فإنه إن عدم الآباء والأبناء والإخوة وأبناءؤهم والأعمام وأبناءؤهم رجع إلى أقرب عاصب^(١) ، ولا يعلم ذلك إلا بعلم النسب.

الفائدة السادسة : معرفة الأحق بحضانة الصغير والمجنون والمعتوه ، فإن لها ترتيباً مذكوراً في كتب الفقهاء لا يمكن تطبيقه إلا بعلم الأنساب^(٢).

الفائدة السابعة : معرفة من تلزمه نفقته من الأقارب على القول الراجح ، فإن النفقة تجب للوالدين وإن علواً والأولاد وإن نزلوا ومن يرثه بفرض أو تعصيب عند غنى المنفق وفقر المنفق عليه وكونه وارثاً ، وهو قول الحنابلة ورجحه ابن القيم^(٣).

الفائدة الثامنة : معرفة أولى الناس بتغسيل الميت فبعد الوصي يأتي الأب ثم الجد ثم الأقرب فالأقرب من عصباته^(٤) .

الفائدة التاسعة : معرفة العاقلة الذين يغرمون الدية المتسببة من جناية قريبهم ، وعاقلة الإنسان هم عصبته ويبدأ في أخذ الدية من أقربهم فالأقرب من الجاني فمتى اتسعت أموال الأقربين لها لم يتجاوزهم وإلا انتقل إلى من يليهم وهذا لا يمكن تطبيقه إلا بمعرفة أنسابهم وقراباتهم من الجاني^(٥).

الفائدة العاشرة : معرفة من عليه الحلف في القسامة^(٦) . وقد قال الإمام

(١) السلسيل ٣١٤/٢ .

(٢) السلسيل ١١٧/٣ .

(٣) العدد / ٥١٨ ، وزاد المعاد ٣١٩/٤ . ذ .

(٤) السلسيل ٢٤٦/١ .

(٥) المقنع مع الشرح ٨٥/٢٦ ، السلسيل ١٦٦/٣ .

(٦) القسامة : أي مان مغلظة في دعوى القتل . المقنع مع الشرح ١٥٣-١٤٨/٢٦ .

أحمد في رواية: يحلف من العصابة الوارث منهم وغير الوارث خمسون رجلاً كل واحد يميناً وهو قول الإمام مالك ورجحه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ، ولهم أدلة قوية على ذلك^(١) . وتطبيق هذا القول يحتاج إلى معرفة تسلسل أقارب القتل ومن يلزمه اليمين . وهذا يحتاج إلى معرفة الأنساب .

ثانياً : أثره في وحدة المسلمين وتربطهم

وبيان ذلك أن المجتمع كبناء عظيم تتكون أدواره من غرف ولا يكون البناء قوياً إلا إذا قوي ارتباط الطوبة بما حولها . وقد قال السمعاني : (ومعرفة الأنساب من أعظم النعم التي أكرم الله تعالى بها عباده ؛ لأن تشعب الأنساب على افتراق القبائل والطوائف أحد الأسباب الممهدة لحصول الائتلاف)^(٢)، وقال ابن عبد ربه : (ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في النسب الذي هو سبب التعارف وسلم للتواصل ، به تتعاطف الأرحام الواشجة وعليه تحافظ الأواصر القرية ... فمن لم يعرف النسب لم يعرف الناس ومن لم يعرف الناس لم يعد من الناس)^(٣)، ولذا نجد الشارع الحكيم أمر بالتربط القبلي مع الرابطة الإيمانية فأمر بصلة الرحم وحذر من قطيعتها . وقد قال ابن عبد البر رحمه الله : معرفة الأنساب علم لا يليق جهله لذوي الهمم والآداب لما فيه من صلة الأرحام والوقوف على ما ندب إليه النبي ﷺ بقوله : تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم^(٤) . وقد ورد في هذا المعنى عدة أحاديث منها :

(١) المقنع ١٥٧/٢٦ وترجيح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في الشرح المسجل لباب القسامة من

زاد المستقنع .

(٢) الأنساب ٣/١ .

(٣) العقد الفريد ٣١٢/٣ .

(٤) الإنباه ٣٧ .

١ - حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا أتاه فسأله : من أنت ؟ قال : فمّت له برحم بعيدة ، فألان له القول ، وقال : سمعت النبي ﷺ يقول : اعرّفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم فإنه لا قرب بالرحم إذا قطعت وإن كانت قريبة ولا بعد بها إذا وصلت وإن كانت بعيدة^(١).

٢ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر^(٢).

٣ - قول عمر رضي الله عنه : تعلموا أنسابكم تصلوا أرحامكم ولا تكونوا كنبط السواد إذا سئل أحدهم ممن أنت ؟ قال : من قرية كذا ، فوالله إنه ليكون بين الرجل وأخيه الشيء : لو يعلم الذي بينه وبينه من دخلة الرحم لردعه ذلك عن انتهاكه^(٣).

ولا يقع في ظن أحد أن حب الرجل قومه من العصبية الذميمة فقد ورد عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله : أمن العصبية أن يحب الرجل قومه ؟ فقال النبي ﷺ : لا ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم^(٤).

(١) رواه الحاكم (١٦١/٤) والطيايوسي (١٧٥٧) وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٠٥١) والصحيحة (٢٧٧) .

(٢) رواه أحمد ٣٧٤/٢ والترمذي ٣٥٧/١ والحاكم ١٦١/٤ وصححه ووافقه الذهبي ، وجود إسناده الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٧٦) .

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد ٣٨/ وابن عبد البر في الإنباه ٣٧/ وحسنه الألباني في تخريجه للأدب المفرد .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٩٤٩) وأحمد (١٠٧/٤ ، ١٦٠) وحسنه شعيب الأرناؤوط في تحقيق الآداب الشرعية ٨١/١ .

ولو رجعنا إلى المجتمع الجاهلي لوجدنا أن قوام الحياة قبل الإسلام على النظام القبلي ، وقد أفاد ذلك المصلحين في حمايتهم من الأذى كما قال تعالى في قصة شعيب : ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴾ ^(١) ، وقد استفاد النبي ﷺ من النظام القبلي في حمايته حتى إن بني عبدمناف وبني المطلب تحملوا مقاطعة قريش لهم ورفضوا تسليم النبي ﷺ لقريش . فلما كانت الهجرة إلى المدينة جمع النبي ﷺ بين الصحابة على أساس الرابطة الدينية ولم تنعدم الرابطة القبلية ، بل صارت تحت الرابطة الإيمانية ، ثم ارتد الكثير من العرب لقوة الرابطة القبلية عندهم وضعف الرابطة الإيمانية ولذلك قال أحدهم : والله لكذاب ربيعة - يعني مسيلمة - أحب إلينا من صادق مضر . ولما حاول خالد بن الوليد رضي الله عنه اعتماد الوحدة القتالية يوم الحديقة فشل فلما رتب جيشه على التقسيم القبلي نجح ، وقد اعتمد قبله النبي ﷺ على الأساس القبلي في فتح مكة ووضع عمر رضي الله عنه الدواوين على الأساس القبلي .

ثالثاً : أثره في معرفة أخلاق الآخرين

إن من أعظم المؤثرات في أخلاق الأجيال وصلاحياتها ومواهبها وطاقاتها نسب المرء وسلالته قال الشاعر :

من لم يكن أصله كريماً لم يعلُ في المكرمات فرعه

الناس كالأرض دون شك ما طاب منها يطيب زرعه

ويكون هذا التأثير بثلاثة طرق ^(٢) :

الأول : القيم والمثل التي يؤمن بها أفراد الأسرة ويأخذونها أباً عن جد ، ويعتبرون من خالفها من أفراد الأسرة شارداً غريباً ساقط الهمة عاقلاً للأسرة .

(١) سورة هود ، الآية : ٩١ .

(٢) المرتضى لأبي الحسن الندوي / ١٥ ، ١٦ .

الثاني : حكايات الآباء وعظماء الأسرة المبرزة لجوانب أخلاقية سامية من شجاعة وصبر وكرم ونبل وشهامة تتناقلها الأجيال بفخر ومباهاة فتؤثر فيها وتغرس في نفوس أبناء الأسرة .

الثالث : تأثير الدم الموروث في أعضاء الأسرة المحافظة على أصالتها وذلك ما أيده علم السلالات (Pedelogy) وهو من فروع علم التاريخ الذي يبحث ويتابع تواريخ السلالات والأسر وأعمالها وآثارها وسير أعلامها - وخاصة الأسر الحاكمة في المجتمعات الغربية^(١) .

وفي هذا المعنى يقول الشاعر الحماسي ربعة بن مكرم الضبي :

هجان الحي كالذهب المصفى صبيحة ديمة يجنيه جان

وقال الحطيئة :

مطاعين في الهيجا مكاشيف للدجى بنى لهم آباؤهم وبنى الجد

ويؤيد ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا^(٢). ومن أعجب ما ورد في ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً أهدى لرسول الله ﷺ بكرة فعوضه منها ست بكرات فتسخطها فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: إن فلاناً أهدى إلي ناقة فعوضته منها ست بكرات فظل ساخطاً. لقد هممت ألا أقبل هدية إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقيفي أو دوسي^(٣). وذلك لأن هذه القبائل الكريمة لا تمن بما تهدي لكرم نفوس أبنائها.

(١) مقدمة الأستاذ سالم الألويسي لموسوعة العشائر العراقية ٩-٦/٤ .

(٢) رواه البخاري (٣٤٩٣ ، ٣٤٩٤) ومسلم (٢٥٢٦) وأحمد ٥٣٩/٢ بزيادة (كمعادن الذهب والفضة) .

(٣) أخرجه أحمد (٢٩٢/٢) و الترمذي (٣٩٤٥ ، ٣٩٤٩) وأبو داود (٣٥٣٧) وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٨٤) .

رابعاً : أثره في التعامل مع الناس

وبيان ذلك أن الكريم إذا أكرمته ملكت قلبه وقد روى ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا^(١).

وروى ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : تجافوا عن عقوبة ذوي الهيئات^(٢). وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ : أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم (إلا الحدود)^(٣).

وقد كان الإمام أحمد رحمه الله لمعرفته بأنساب مجالسيه يطبق هذه الأحاديث أروع تطبيق ، فقد قال ابنه عبدالله : رأيت أبي إذا جاء الشيخ والحدث من قريش أو غيرهم من الأشراف لم يخرج من باب المسجد حتى يخرجهم فيكونوا هم يتقدمونه ثم يخرج هو من بعدهم . وقال المروزي : ورأيت أبا عبدالله وقد حضر غلام من بني هاشم ومعه إبراهيم سبلان فرأيت قدم الغلام ، قال : ورأيت رجلاً من ولد الزبير في المسجد فرأيت أبا عبدالله قدمه في الخروج من المسجد وكان حديث السن ، فجعل الفتى يمتنع وجعل أبو عبدالله يأبى حتى قدمه^(٤). والإمام أحمد رحمه الله إنما فعل ذلك لظاهر الحديث الذي رواه سهل بن أبي حثمة رضي

(١) رواه ابن ماجه وله شواهد عن جرير وأبي هريرة وجابر وابن عباس رضي الله عنهم وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٩) والصحيحة (١٢٠٥) والأرناؤوط في تخريج الآداب الشرعية ٤٤٢/١ .

(٢) رواه ابن الأعرابي في معجمه كما في الصحيحة ٢٣٩/١ تحت الحديث رقم (٦٣٨) وجود إسناده الألباني .

(٣) أخرجه أبوداود (٣٤٧٥) وأحمد ١٨٦/٦ ، والبخاري في الأدب المفرد (٤٦٥) وابن حبان (١٥٢٠) وحسنه الألباني في الصحيحة (٦٣٨) .

(٤) الآداب الشرعية ٤٤٢/١ .

الله عنه قال : قال النبي ﷺ: تعلموا من قريش ولا تعلموها وقدموا قريشاً ولا تؤخروها فإن للقرشي قوة الرجلين من غير قريش^(١).

وقد وضع للأشراف علامة تميزهم ليكون لهم الإكرام اللائق بهم لقربهم من النبي ﷺ . وقد كان الشرف هو صفاء النسب العربي ثم صار الشريف من كان من آل البيت سواء كان عباسياً أو عقيلياً أو علويّاً كما في العجاجة الزنبية في السلالة الزنبية للسيوطي^(٢) . ثم قصر الفاطميون لقب الشريف على من كان من نسل فاطمة واستمر بعدهم^(٣) ، وأحدثت لهم علامة خضراء سنة ٧٧٣هـ بأمر الملك الأشرف شعبان بن حسين (ت ٧٧٨هـ) وذلك ليمتاز الأشراف بعصائب خضر على العمائم^(٤) كما في إنباء الغمر لابن حجر في حوادث سنة ٧٧٣هـ^(٥).

ولما حصل من بعض أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إنكار لتمييز الأشراف بتقبيل أيديهم ولبس العمائم الخضر كتب إليه منكرأفعله ثم قال : وأما تقبيل اليد فلا يجوز إنكار مثله وهي مسألة خلافية وقد قبل زيد بن ثابت يد ابن عباس وقال : هكذا أمرنا أن نعمل بآل بيت نبينا . وعلى كل حال فلا يجوز لأحد إنكار كل مسألة لا يعرف حكم الله فيها . وأما لبس الأخضر فإنها أحدثت قديماً تمييزاً لأهل البيت لئلا يظلمهم أحد أو يقصر في حقهم من لا يعرفهم . وقد أوجب الله لأهل بيت رسول الله ﷺ على الناس حقوقاً فلا يجوز لمسلم أن يسقط حقهم ويظن أنه من التوحيد بل هو من الغلو ونحن ما أنكرنا إكرامهم إلا لأجل الألوهية أو

(١) رواه ابن أبي شيبه وصححه الألباني في الإرواء رقم ٥١٩ .

(٢) مطبوعة ضمن الحاوي ٨١/٢ .

(٣) الحاوي ٨٣/٢ .

(٤) الحاوي ٨٥/٢ .

(٥) مقدمة صلاح الدين المنجد لطرفة الأصحاب لابن رسول /١٢ .

إكرام المدعي لذلك ... الخ^(١). وقد ذكر بعض من ألف في آداب الملوك والقادة أن على من تصدر لسياسة الناس وقيادتهم أن يعرف أنساب الناس ليكون تعامله معهم على حسب أنسابهم وشرفهم فمن ذلك ما قاله أردشير - ملك اصطخر- : الناس ثلاث طبقات تجب سياستهم في ثلاث سياسات :

- منهم طبقة من الخواص الأعيان تسوسهم بمحض اللطف والإحسان
 - وطبقة من العوام الأوساط تسوسهم من العنف واللطف ما بين الإفراط والاقتصاد .
 - وطبقة من العوام والأطراف تسوسهم بمحض الغلظة والاعتساف^(٢) .
- وبالجملة فعموم الأحاديث تطلق مشروعية إعطاء من كان نسبياً زيادة إكرام واحترام ولا يعرف ذلك إلا بمعرفة الأنساب .

خامساً : أثره في معرفة قدرات الآخرين وتخصصاتهم

وذلك لأن لكل قوم قدرات ومواهب تميزهم عن غيرهم ، وقد حدد النبي ﷺ بعض هذه القدرات لتستفيد منها الدولة الإسلامية. فعن عتبة بن عبد رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : الخلافة في قريش والحكم في الأنصار والدعوة في الحبشة والجهاد والهجرة في المسلمين والمهاجرين بعد^(٣). قال المناوي: وجعل الحكم في الأنصار لأن أكثر فقهاء الصحابة منهم ، والحكم: الفقه والقضاء. والدعوة: الأذان، وجعله في الحبشة تفضيلاً لبلال، قاله الزمخشري^(٤). وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (... والأمانة في الأزدي)^(٥). ومما يذكره

(١) تاريخ ابن غنم ١٧٥/٢ .

(٢) تهذيب الرياسة للقلعي / ١٢١ ونهاية الأرب ٤٤/٦ . ولا يؤخذ كلامه على الإطلاق .

(٣) رواه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة / ١٥١ .

(٤) فيض القدير ٥٠٨/٣ .

(٥) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في الصحيحة (٨٣) .

المؤلفون في آداب الملوك أن منها أن يولي أشراف الناس ، قال يحيى بن خالد لبنيه :
إنكم لا بد لكم من عمال وكتاب فاستعينوا بأشراف الناس واياكم والسفلة فإن
النعمة على الأشراف أزين والمعروف عندهم أثمن والشكر فيهم أحسن^(١). وقال عمر
ابن عبدالعزيز لرجل: أشر علي فيمن أستعمل؟ فقال: أما أرباب الدين فلا يريدونك
وأما أرباب الدنيا فلا تريدهم، ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم عما لا
يصلح^(٢). ونقل عن أبي إسحاق قال: دعاني المعتصم يوماً فأدخلني معه الحمام ثم
خرج فخلا بي وقال: يا أبا إسحاق في نفسي شيء أريد أن أسألك عنه، إن أخي
المأمون اصطنع رجالاً فأنجبوا واصطنعت أنا مثلهم فلم ينجبوا. قلت: ومن هم؟ قال:
اصطنع طاهراً وابنه وإسحاق وآل سهل، فقد رأيت كيف هم، واصطنعت أنا الأفشين
فقد رأيت إلى ما آل أمره ، وأساس؛ فلم أجده شيئاً، وكذلك انباج ووصيف، قلت: يا
أمير المؤمنين ههنا جواب علي أمان من الغضب، قال: لك ذلك، قلت: نظر أخوك إلى
الأصول فاستعملها فأنجبت فروعها واستعملت فروعاً لا أصول لها فلم تنجب.
فقال: يا أبا إسحاق: مقاساة ما مربى طول هذه المدة أهون علي من هذا
الجواب^(٣).

وأما تفصيل ما ورد في هذا الباب من أحاديث فعلى النحو التالي :

١ - ما ورد فيما تتميز به قریش

١ - أنهم بطبيعتهم قادة في الخير والإسلام أو في الشر والجاهلية ، ودليل ذلك ما
رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (الناس تبع لقریش في هذا

(١) تهذيب الرياسة للقلعي / ١٤٠ ، والوزراء والكتاب / ١٧٩ .

(٢) غذاء الألباب ٢/ ٤٠٦ .

(٣) غذاء الألباب ٢/ ٤٠٧ .

الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم (...)^(١). وفي حديث جابر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (الناس تبع لقريش في الخير والشر)^(٢).

٢ - أن الخلافة فيهم ودليل ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان)^(٣).

٣ - أنه لا يجوز منازعتهم في الخلافة ودليل ذلك حديث معاوية رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين)^(٤).

٤ - نبل آرائهم في الجملة ودليل ذلك ما رواه جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (إن للرجل من قريش مثلي قوة الرجل من غير قريش)^(٥). ولذلك فإنهم يقدمون على غيرهم لحديث سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (تعلموا من قريش ولا تعلموها وقدموا قريشا ولا تؤخروها فإن للقرشي قوة الرجلين من غير قريش)^(٦). وفسر الزهري رحمه الله قوة القرشي بأنه في نبل الرأي^(٧).

٥ - أن صالح نسائهم أفضل من صالح نساء غيرهم في التربية والتعامل ودليل ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (خير نساء ركن الإبل

(١) رواه البخاري (٣٤٩٥) ومسلم (١٨١٨) .

(٢) رواه مسلم (١٨١٩) .

(٣) رواه البخاري (٣٠٥١) ومسلم (١٨١٣) .

(٤) رواه البخاري (٣٥٠٠) (٧١٣٩) .

(٥) رواه أحمد ٨١/٤، ٨٣ وغيره وصححه الحاكم وابن حبان والألباني كما في صحيح الجامع (٢١٨١) والصحيحة (١٦٩٧) .

(٦) رواه ابن أبي شيبة وصححه الألباني في الإرواء رقم ٥١٩ وتقدم .

(٧) محجة القرب / ٢١٥ .

صالح نساء قريش أحناء على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده)
متفق عليه^(١).

٦ - كرم نفوسهم ولذلك عزم النبي ﷺ ألا يقبل هدية إلا منهم كما تقدم .
ولا بد هنا من التنبيه على أن قيادتهم لأهل الإسلام مشروطة بشروط مذكورة
في الأحاديث وهي :

١ - الشرط الأول : أن يقيموا الدين لما تقدم من حديث معاوية رضي الله عنه قال :
قال النبي ﷺ : (إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه
ما أقاموا الدين)^(٢). قال ابن حجر : وبه يقوى أن مفهوم حديث معاوية أنهم إذا
لم يقيموا الدين خرج الأمر عنهم^(٣).

٢ - الشرط الثاني : أن يجتمع في الأمير منهم ثلاثة أمور هي : العدل والرحمة
والوفاء لحديث أبي بردة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (الأمراء من قريش
ما فعلوا ثلاثاً : حكموا فعدلوا واسترحموا فرحموا وعاهدوا فوفوا ...) ^(٤). وفي
حديث أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (الأئمة من قريش إذا حكموا
فعدلوا وإذا عاهدوا أوفوا وإذا استرحموا رحموا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه
لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يُقبل منه صرف ولا عدل)^(٥). أي : توبة
ولا فدية وقيل : نافلة ولا فريضة^(٦).

(١) الصحيحة للألباني (١٠٥٢) .

(٢) رواه البخاري (٣٥٠٠) (٧١٣٩) .

(٣) فتح الباري ١٣/١٢٥ عن محجة القرب هامش صفحة ١٦٧ .

(٤) رواه أحمد ٤/٤٢١ ، ٤٢٤ والطيايسي (٩٦٨) بدون ذكر الثلاث .

(٥) رواه أحمد (١٢٩٢٣) والحاكم (٥٠١/٤) و الطيايسي (٢٢٤٧) وصححه محقق الطيايسي
بمجموع طرقه .

(٦) النهاية ٢٤/٣ .

٣ - الشرط الثالث : ألا يعصوا الله لما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (أما بعد : يا معشر قريش فإنكم أهل هذا الأمر ما لم تعصوا الله فإذا عصيتموه بعث عليكم من يلحكم كما يلحى هذا القضيب)^(١).
ولذلك نجد أن النبي ﷺ يقول : انظروا قريشاً فخذوا من قولهم وذروا فعلهم^(٢) . وقد أحسن الشاعر حين قال :

خذ من كلامي ولا تنظر إلى عملي ينفعك قلبي ولا يضررك تقصيري

وأما أخطاؤهم فلا تضخم ولا تتبع عثراتهم لحديث جابر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (إن قريشاً أهل أمانة لا يبغيهم العثرات أحد إلا كبه الله لمنخريه)^(٣).

٢ - ما ورد فيما يتميز به الأنصار

١ - علو هممهم وطلبهم الآخرة بعملهم لما ورد عن أنس رضي الله عنه قال : شق على الأنصار النواضح فاجتمعوا عند النبي ﷺ يسألونه أن يكرى لهم نهراً سيحاً فقال لهم النبي ﷺ : (مرحباً بالأنصار مرحباً بالأنصار والله لا تسألوني اليوم شيئاً إلا أعطيتكموه ولا أسأل الله لكم شيئاً إلا أعطانيه . فقال بعضهم لبعض : اغتتموها اسألوا المغفرة ، قالوا : يا رسول الله ادع الله لنا بالمغفرة فقال النبي ﷺ : اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار^(٤)).

- (١) رواه أحمد وصححه الألباني كما في صحيح الجامع (١٣٥٩) والصحيحة (١٥٥٢).
(٢) رواه أحمد وابن حبان وغيرهما عن عامر بن شهر رضي الله عنه وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٧٧) .
(٣) رواه ابن عساكر ورواه الطبراني عن رفاعة ابن رافع وحسنه الألباني في الصحيحة (١٦٨٨).
(٤) رواه أحمد ١٩٣/٣ وغيره وله شواهد ذكرها محقق محجة القرب صفحة ١٤٧ .

- ٢ - عفتهم وصبرهم لحديث أبي طلحة رضي الله عنه قال : قال لي النبي ﷺ :
(أقربى قومك السلام فإنهم ما علمت أعفة صبر)^(١).
- ٣ - صلتهم للجار لحديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ : (ما يضر امرأة نزلت بين بيتين من الأنصار أو نزلت بين أبويها)^(٢).
- ٤ - أنهم لا يريدون جزاء على هداياهم وأعطياتهم لكرم نفوسهم لحديث : (لقد هممت ألا أقبل هدية إلا من قرشي أو أنصاري...) وتقدم تخريجه.
- ٣ - ما ورد فيما يتميز به أهل اليمن .

١ - أنهم أرق أفئدة وألين قلوباً وأنهم أهل حكمة وإيمان لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : (أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً . الإيمان يمان والحكمة يمانية ...) متفق عليه، وفي رواية فيهما : (أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق أفئدة، الفقه يمان والحكمة يمانية) . ولحديث أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : (الإيمان يمان هكذا إلى لحم وجذام)^(٣).

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٠٣) وقال هذا حديث حسن غريب وأخرجه أحمد (١٢٥٤٢) والطيالسي (٢١٦٢) والحاكم ٧٩/٤ وفيه محمد بن ثابت البناني . ضعفه البخاري وغيره. وله شاهد عن أسيد بن الحضير رضي الله عنه أنه قال: جزاك الله خيراً يا رسول الله . فقال النبي ﷺ : (وأنتم فجزاكم الله خيراً فإنكم ما علمت أعفة صبر) أخرجه أبو يعلى ٤٤٦/١ ومن طريقه ابن حبان ١٩٧/٩ وقال العراقي في محجة القرب صفحة ٢٨٥ : هذا حديث حسن . وفيه عنونة ابن إسحاق ويصلح شاهداً لحديث أبي طلحة .

(٢) أخرجه أحمد ٥/٦ وقال الهيثمي في المجمع (٤٣/١٠) : رواه أحمد والبخاري ورجالهما رجال الصحيح. وقال العراقي في محجة القرب صفحة ٢٩٠ : هذا حديث صحيح غريب ورجاله كلهم ثقات .

(٣) رواه أحمد ٢٢٤/٣ وقال الهيثمي في المجمع ٥٨/١٠ : ورجاله رجال الصحيح غير عروة بن رويم وهو ثقة . وقال العراقي في المحجة صفحة ٢٥٢ : حديث صحيح .

٢ - أنهم أسمع طاعة لحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال لي النبي ﷺ :
(أهل اليمن أرق قلوبا وألين أفئدة وأسمع طاعة)^(١).

٣ - أنهم أهل أمانة لما تقدم في الحديث : والأمانة في الأزد.

٤ - أن الأشعرين وهم من القبائل اليمنية الأزدية أتى عليهم النبي ﷺ لأنهم أهل تكافل فيما بينهم وذلك فيما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (إن الأشعرين إذا أرملوا في الغزو أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه في إناء واحد بالسوية ، فهم مني وأنا منهم)^(٢).

٤ - ما ورد فيما يتميز به بنو تميم

ورد في ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لا أزال أحب تميم من ثلاث سمعتهم من رسول الله ﷺ ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: أشد أمتي على الدجال . قال : وجاءت صدقاتهم فقال النبي ﷺ : هذه صدقات قومنا . قال : وكانت سبية منهم عند عائشة فقال رسول الله ﷺ : (أعتقها فإنها من ولد إسماعيل)^(٣).

سادساً : استخدام علم النسب في الدعوة إلى الخير

معلوم أن الشخص يأنس بمن يعرفه ويعرف نسبه ولذلك كان النبي ﷺ يستعين بنسابة قريش أبي بكر رضي الله عنه عندما كان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل . وأشهر ما ورد في ذلك قصته مع دغفل النسابة فيما رواه ابن عباس عن علي رضي الله عنهما قال : لما أمر الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ أن يعرض

(١) رواه الطبراني وحسنه الألباني في الصحيحة (١٧٧٥) .

(٢) رواه البخاري (٢٤٨٦) ومسلم (٢٥٠٠) .

(٣) رواه مسلم بهذا اللفظ (٢٥٢٥) . وهو في البخاري (٢٥٤٣) ، (٤٣٦٦) ومسلم (١٩٥٧) بلفظ : هم أشد قتالا في الملاحم .

نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر رضي الله عنه فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر وكان مقدماً في كل خير وكان رجلاً نساباً فسلم فردوا عليه السلام ، فقال أبو بكر: ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة ، قال : ومن أي ربيعة أنتم؟ أمن هامتها أم من لهازمها ؟ قالوا : بل من هامتها العظمى ، قال : ومن أيها ؟ قالوا : من ذهل الأكبر ، قال أبو بكر : فمنكم عوف الذي يقال له : لا حر بوادي عوف ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم جساس بن مرة حامي الذمار ومانع الجار ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم بسطام بن قيس ذو اللواء أبو العرى ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم الحوفزان الحارث بن شريك قاتل الملوك وسالباها أنعمها وأنفسها ؟ قالوا : لا ، قال : أفمنكم المزدلف بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان الحر صاحب العمامة المفردة ؟ قالوا : لا ، قال : أفمنكم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا : لا ، قال : أفمنكم أصهار الملوك من لخم ؟ قالوا : لا ، قال : فلسستم بذهل الأكبر بل ذهل الأصغر . فقام إليه غلام من شيبان يقال له دغفل وقد بقل وجهه فقال :

إن على سائلنا أن نسأله والعبيء لا نعرفه أو نجهله

يا هذا إنك قد سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئاً من خبرنا فممن الرجل ؟ قال أبو بكر: أنا من قريش ، قال : بخ بخ أهل الشرف والرياسة فمن أي القرشيين أنت ؟ قال : من ولد تيم بن مرة ، قال الفتى: أمكنت والله الرامي من سواء الثغرة ، أفمنكم قصي بن كلاب الذي جمع القبائل من فھر وكان يدعى مجمعا ؟ قال : لا ، قال : أفمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف ؟ قال: لا، قال : أفمنكم شيبة الحمد عبدالمطلب مطعم طير السماء الذي كأن وجهه قمر يضيء في الليلة الظلماء ؟ قال : لا ، قال : أفمن المفيضين بالناس أنت ؟ قال : لا ، قال : أفمن أهل الندوة أنت ؟ قال : لا ، قال : أمن أهل السقاية أنت ؟ قال : لا ،

قال : أفمن أهل الرفادة أنت ؟ قال : لا ، قال : أفمن أهل الحجابة أنت ؟ قال : لا ، واجتذب أبو بكر رضي الله عنه زمام ناقته فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال الفتى :

صادف درء السيل درءاً يدفعه يهيضه حيناً وحيناً يصدعه

أما والله لو ثبت لأخبرت أنك من زمعات قریش ولست من الذوائب . أو ما أنا بدغفل ؟ قال : فأخبر النبي ﷺ فتبسم . فقال علي رضي الله عنه : يا أبا بكر ، لقد وقعت من الغلام الأعرابي على باقة ، قال : أجل يا أبا الحسن ، ما من طامة إلا وفوقها طامة وإن البلاء موكل بالمنطق .

قال علي ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار فتقدم أبو بكر فسلم ، فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من شيبان بن ثعلبة ، فالتفت أبو بكر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال : بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر الناس فيهم مفروق بن عمرو وهاني بن قبيصة والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك ، وكان مفروق قد غلبهم جمالا ولسانا وكانت له غديرتان تسقطان على تربيته^(١) وكان أدنى القوم مجلساً فقال أبو بكر رضي الله عنه : كيف العدد فيكم ؟ فقال مفروق : إنا لنزيد على ألف ولن يغلب ألف من قلة فقال أبو بكر : كيف الحرب فيكم ؟ فقال مفروق : إنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا أخرى ، لعلك أخو قریش ؟ فقال أبو بكر : قد بلغكم أنه رسول الله ، ألا هو ذا ، فقال مفروق : بلغنا أنه يذكر ذاك ، فإلى ما تدعو يا أخا قریش ؟ فتقدم رسول الله ﷺ فجلس وقام أبو بكر يظله بثوبه فقال رسول الله ﷺ : (أدعوكم إلى شهادة ألا إله إلا الله لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وإلى أن تؤمنوا وتتصروني فإن قریشاً قد ظاهرت على أمر الله وكذبت

(١) بمعنى : صدره .

رساله واستغنت بالباطل عن الحق والله الغني الحميد) فقال مفروق : وإلام تدعو يا أبا قريش فوالله ما سمعت كلاما أحسن من هذا ؟ فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ... ﴾ (١) فقال مفروق : وإلام تدعون يا أبا قريش فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ؟ فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ... ﴾ (٢) فقال مفروق : دعوت والله يا أبا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك ، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة فقال : وهذا هانئ شيخنا وصاحب ديننا ، فقال هانئ : لقد سمعت مقالتك يا أبا قريش ، إني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر أنه زل في الرأي وقلة نظر في العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ومن ورائنا قوم نكره أن يعقد عليهم عقداً ولكن نرجع وترجع وننظر ، وكأنه أحب أن يشركه المشي بن حارثة فقال : وهذا المشي بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا فقال المشي : سمعت مقالتك يا أبا قريش ، والجواب في جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتك على دينك ، وإنما نزلنا بين صريين ؛ الإمامة والسمامة ، فقال رسول الله ﷺ : ما هذان الصريان ؟ فقال المشي : أنهار كسرى ومياه العرب ، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول ، وإنما نزلنا على عهدٍ أخذه علينا ألا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً ، وإني أرى أن هذا الأمر الذي تدعوننا إليه يا قرشي مما يكره الملوك ، فإن أحببت أن نؤويك وننصررك مما يلي مياه العرب فعلنا ، فقال رسول الله ﷺ : ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق ، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه ، رأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٥١ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٩٠ .

نساءهم أتسبحون الله وتقديسونه ؟ فقال النعمان بن شريك : اللهم فلك ذلك ، فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ (١) ، ثم نهض رسول الله ﷺ قابضاً على يدي أبي بكر وهو يقول : يا أبا بكر أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها ، بها يدفع الله عز وجل بأس بعضهم عن بعض ، وبها يتحاجزون فيما بينهم ، فقال علي رضي الله عنه : فدفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله ﷺ ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ وقد سر بما كان من أبي بكر ومعرفته بأنسابهم (٢) .

كما أن صاحب النسب الرفيع إذا وقعت منه مخالفة للشرع فإنها تكون أقبح من مخالفة غيره ، ولذلك فإن على المصلح والداعي أن يذكر المخالف بعلو نسبه لعله يرتدع بذلك . وقد قال ابن مفلح رحمه الله : خمسة أشياء تقبح في خمسة أصناف : الحدة في السلطان وقلة الحياء في ذوي الأحساب والبخل في ذوي الأموال والفتوة في الشيوخ والحرص في العلماء والقراء (٣) .

سابعاً : مدى الحاجة إلى علم النسب عند هجاء أهل الباطل

وذلك لأن التعميم دائماً ما يجانب الصواب ولذلك ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ : (إن أعظم الناس عند الله فرية لرجل هاجى رجلاً فهجا القبيلة بأسرها ورجل انتفى من أبيه وزنى أمه) (٤) .

(١) سورة الأحزاب ، الآيتان : ٤٥ - ٤٦ .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل ٢ / ٤٢٢ والحلية لأبي نعيم ٢٨٢ وحسنه ابن حجر في الفتح ٧١ / ١٥ والقسطلاني في المواهب .

(٣) الآداب الشرعية ١٩ / ٢ .

(٤) رواه ابن ماجه ٤١١ / ٢ و البخاري في الأدب المفرد (١٢٦) وابن حبان وصححه (٢٠١٤) وصححه الهيتمي في مجمع الزوائد (٢٢٧ / ١) وحسنه ابن حجر في الفتح ٤٤٣ / ١٠ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٦٩) والصحيحة (٧٦٣) .

ولما أراد حسان أن يجاهد المشركين بما هو أشد عليهم من الرمي بالسهام من الجهاد بالكلمة أخذ من نسابة قريش أبي بكر رضي الله عنه وذلك فيما روته عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ : (اهجوا قريشاً فإنه أشد عليهم من رشق النبل) وبعد محاولات لابن رواحة وكعب بن مالك رضي الله عنهما قال حسان رضي الله عنه : والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم . فقال النبي ﷺ : (لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها وإن لي فيهم نسباً حتى يلخص لك نسبي) فأتاه حسان ثم رجع فقال: يا رسول الله قد لخص لي نسبك ، والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين ، قال حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء^(١)

ثامناً: أهمية علم النسب في معرفة القائل التي أوصى بها النبي ﷺ

وذلك لأن النبي ﷺ أتى على قبائل وفضلها على غيرها ودعا لبعضها وأوصى أمته لقبائل أخرى ، وتفصيل ذلك فيما يلي :

١ - أن حب العرب عامة وبني هاشم والأنصار خاصة واجب لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : (بغض بني هاشم والأنصار كفر وبغض العرب نفاق)^(٢)، وقال البوصيري

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم المجد أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له^(٣)

(١) رواه مسلم (٢٤٩٠) .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٤٦/١١) وقال الهيثمي في المجمع (١٣/١٠) : رجاله ثقات، وقال العراقي في المحجة صفحة (٢٢٨) هذا حديث حسن .

(٣) نقلاً عن مقدمة مصابيح البشرية لأحمد الشيباني الإدريسي - طبعة سنة ١٤٠٨ هـ .

- وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أحب الله ومن أبغضهم أبغضه الله)^(١).
- وعن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار)^(٢). وقد كان الأنصار أحب الناس إلى رسول الله ﷺ لحديث أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (والذي نفسي بيده إنكم أحب الناس إلي) مرتين^(٣).
- ٢ - أن المسلم مأمور أن يقبل إحسان الأنصار ويتجاوز عن أخطائهم لحديث أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (الأنصار كرشي وعيبيتي والناس سيكثرون ويقبلون فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم)^(٤).
- ٣ - أننا مأمورون أن نستوصي خيراً بالقبائل المصرية لحديث أبي ذر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً)^(٥).
- ٤ - أن النبي ﷺ نهى عن التعرض للقبائل الحبشية ابتداءً وذلك في حديث ابن عمر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (اتركوا الحبشة ما تركوكم فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة)^(٦).
- ٥ - أننا مأمورون بتقديم قريش وأن يكون الأئمة منهم بشروط معلومة كما أننا نهينا عن اتباع عثراتهم وتقديم جميع ذلك .

(١) رواه البخاري (٣٧٨٣) ومسلم (٧٥) .

(٢) رواه البخاري (٣٧٨٤) ومسلم (٧٦) .

(٣) رواه البخاري (٣٧٨٦) ومسلم (٢٥٠٨) .

(٤) رواه البخاري (٣٨٠١) .

(٥) رواه مسلم (١٧٤٩) وألفاظه مبسوبة في السلسلة الصحيحة (١٣٧٤) .

(٦) رواه أبو داود والحاكم وحسنه الألباني في الصحيحة ١٣٧٢ .

٦ - أن إهانة قريش أمر محرم لحديث : (من يرد هوان قريش أهانه الله)^(١) .
 ٧ - أنه لا بد أن يعلم المسلم أن تفاضل القبائل يكون بالقرب من النبي ﷺ
 وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن ذلك لأن الله هو المتفرد بالاختيار والتفضيل قال
 تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾^(٢)، ومن ذلك اختياره سبحانه ولد إسماعيل من
 أجناس بني آدم ثم اختار منهم بني كنانة من خزيمة ثم اختار من ولد كنانة قريشا ثم
 اختار من قريش بني هاشم ثم اختار من بني هاشم سيد ولد آدم محمدا ﷺ . أهـ^(٣) .
 وعند الترمذي وصححه مرفوعاً : (إن الله عز وجل جعل النبي في خير الناس
 قبيلة) . فالنبي ﷺ خيار من خيار وذلك يعني أن التفاضل بين القبائل يكون بقربها
 من نسب النبي ﷺ . وهذا التفضيل بالقرب معتبر لحديث أم هانئ رضي الله عنها
 قالت : قال النبي ﷺ : (فضل الله قريشاً بسبع خصال لم يُعْطَها أحد قبلهم ولا
 يعطاها أحد بعدهم : فضل الله قريشاً أني منهم وأن النبوة فيهم وأن الحجابة فيهم
 وأن السقاية فيهم ونصرهم على الفيل وعبدوا الله عشر سنين لا يعبدونه غيرهم
 وأنزل الله فيهم سورة من القرآن لم يُذكر فيها أحد غيرهم (لإيلاف قريش)^(٤) .

ولا بد هنا من التنبيه على أن ذكر الفضائل يقترب بأمور :

الأول : ألا تكون معرفة الفضائل سبباً في ازدراء الآخرين والفخر والخيلاء .

الثاني : أن فضل الجنس لا يستلزم فضل الشخص ، فإن بلالا الحبشي رضي

(١) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في الصحيحة (١١٧٨) .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٦٨ .

(٣) الزاد ٤٤/١ ويشير في هذا الكلام إلى حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه الذي رواه مسلم
 برقم (٢٢٧٦) .

(٤) رواه الحاكم والطبراني ورواه الطيالسي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه وحسنه الألباني
 في الصحيحة (١٩٤٤) .

الله عنه أفضل من كثير من الصحابة ممن هو أشرف منه نسباً وأقرب إلى رسول الله ﷺ ، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ بعد أن ذكر فتنة الأحلاس: (ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدم رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني وإنما أوليائي المتقون)^(١).

الثالث : أن التفاضل لا يكون إلا بالإسلام والبر والتقوى كما قال تعالى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، مؤمن تقي وفاجر شقي ، أنتم بنو آدم وآدم من تراب)^(٣) ، وقال سلمان رضي الله عنه :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

الرابع : أن نعلم أن الأعاجم والموالي لهم دور عظيم في نشر الدين والدفاع عنه .

الخامس : أن عز العرب إنما هو بالإسلام كما قال عمر رضي الله عنه : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله .

السادس : أن يُعلم أن من فيه شيء من التعصب أو الاحتقار للآخرين إذا عرف فضائل قومه وشرف نسبه ، فإن المصلحة تقتضي ألا يخبر بذلك لقول النبي ﷺ : (لولا أن تطغى قريش لأخبرتهم الذي لهم عند الله)^(٤).

(١) رواه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٩٧٤) .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٣ .

(٣) رواه أبوداود (٥١١٦) والترمذي (٣٩٥٥) ونقل محقق المحجة صفحة (١٢) عن شيخ الإسلام تصحيحه .

(٤) رواه أحمد ٣٨٤/٦ وصححه العراقي في المحجة .

تاسعاً : تكلم النبي ﷺ في علم النسب يدل على شرفه

وقد روت لنا دواوين السنة وقائع كثيرة تدل على أن النبي ﷺ يتكلم في علم

النسب عند الحاجة ، ومن ذلك على سبيل المثال :

١ - ما ورد عن سبابة بن عاصم رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (أنا ابن

العواتك من سليم)^(١) . يعني أنه ﷺ كان له ثلاث جدات من بني سليم وهن

عاتكة بنت هلال وعاتكة بنت مرة وعاتكة بنت الأوقص^(٢) .

٢ - ما ورد عن الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (نحن بنو

النضر بن كنانة لا نقفوا أماناً ولا ننتفي من أيبنا)^(٣) . والمعنى : لا نقذف أماناً ولا

ننكر نسبنا لأيبنا .

٣ - في حديث أبي هريرة المتقدم وفيه : وكانت سبية منهم - أي تميم - فقال النبي

ﷺ : (أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل)^(٤) .

٤ - حديث عائشة رضي الله عنها أنه كان عليها رقبة من بني إسماعيل فجاء سبي

من خولان فأرادت أن تعتق منهم فنهاها ثم جاء سبي من مضر من بني العنبر

فأمرها النبي ﷺ أن تعتق منهم)^(٥) .

٥ - أن النبي ﷺ نادى قريشاً بطناً بطناً لما نزل قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٦) .

(١) رواه الطبراني وغيره وحسنه الألباني في الصحيحة (١٥٦٩) .

(٢) ترتيب أحاديث صحيح الجامع ١٩٠/٢ هامش ٣ .

(٣) رواه أحمد وابن ماجه وصححه الألباني في الصحيحة (٣٧٥) .

(٤) رواه مسلم وتقدم .

(٥) أخرجه أحمد (٦٣/٦) وقال الهيثمي في المجمع (٤٩/١٠) : رجال أحمد رجال الصحيح .

وقال العراقي في المحجة : هذا حديث صحيح . (حديث ٢٥١) .

(٦) سورة الشعراء ، الآية : ٢١٤ .

- ٦ - أنه ﷺ نسب الحبشة إلى بني أرفدة .
- ٧ - أنه ﷺ فاضل بين القبائل وأثنى على بعضها وفاضل بين دور الأنصار فقدم بني النجار ثم بني عبد الأشهل ثم بني الحارث ابن الخزرج ثم بني ساعدة ثم قال : (وفي كل دور الأنصار خير) .
- ٨ - ونقل الشيخ بكر أبو زيد في طبقات النسابين عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال : كنت عند النبي ﷺ فقال: (من كان من معد فليقم . قال : فقامت فقال لي : اجلس، فعل ذلك ثلاثاً ، قلت : يا رسول الله : ممن نحن ؟ قال: أنتم من قضاة بن مالك ابن حمير بن سبأ)^(٢) وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الإصابة : وفي المسند عن عمرو بن مرة الجهني قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من كان ههنا من سعد فليقم، فقامت، فقال : اقعد، فصنع ذلك ثلاثاً... الحديث" وأخرج الطبراني من طريق عيسى بن طلحة عن عمرو ابن مرة الجهني أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: ممن أنت؟ قال: من قضاة. ومنها من طريق ابن لهيعة عن الربيع بن سبرة عن عمرو بن مرة قال: قلت يا رسول الله ممن نحن؟ قال : أنتم من اليد الطليقة واللقمة الهنيئة من حمير^(٣).
- ٩ - وورد أن سعداً رضي الله عنه سأل النبي ﷺ فقال: (من أنا يا رسول الله ؟ قال ﷺ: أنت سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، من قال غير ذلك فعليه لعنة الله)^(٣).

(١) نسبه في صفحة ٨ إلى طبقات خليفة بن خياط وهو في الطبقات / ١٢٠ بدون القصة.

(٢) الإصابة ١٦/٣.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢٨٩) والحاكم (٤٩٥/٣) وأورده في سير أعلام النبلاء ٩٦/١

وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان .

١٠- وتكلم بعده الصحابة رضي الله عنهم فمن ذلك قول أنس رضي الله عنه : إن لم نكن من الأزد فلسنا من الناس^(١) .

الخاتمة :

بعد أن تبين أن علم النسب له فضله وأهميته لا بد أن ننبه إلى بعض المحاذير التي قد يقع فيها المشتغل بعلم الأنساب فمن ذلك :

١ - الإيغال في الأنساب القديمة وقد روى خليفة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا أنتسب إلا إلى معدّ وما بعده لا أدري ما هو. وروى عن عكرمة قال: أضلت نزار نسبها من عدنان وأضلت اليمن نسبها من قحطان^(٢). وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ إذا انتهى في النسب إلى معد بن عدنان أمسك ثم قال: كذب النسابون ، قال تعالى : ﴿ وَقُرُونَا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾^(٣). وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ولو شاء رسول الله ﷺ أن يعلمه لعلمه ، وقال : بين معد بن عدنان وبين إسماعيل ثلاثون أبا^(٤) . وورد عنه أنه لما وصل إلى عدنان قال : كذب النسابون^(٥) . وورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ... ﴾^(٦) ، فقال: كذب النسابون . وذكر ابن كثير في ترجمة الإمام أحمد نسبه إلى إبراهيم عليه السلام ثم ذكر عن صالح بن الإمام أحمد أنه قال : رأى أبي هذا النسب في كتاب

(١) رواه الترمذي (٢٩٣٨) وقال : غريب صحيح .

(٢) طبقات خليفة / ٢ .

(٣) سورة الفرقان ، الآية : ٢٨ ، والحديث ذكره الكلبي في الجهمرة صفحة ١٧ ولا يصح .

(٤) المرجع السابق / ١٧ .

(٥) الدر المنثور ٧٢/٥ .

(٦) سورة إبراهيم ، الآية : ٩ .

لي ، فقال : وما تصنع بهذا ؟ ولم ينكر النسب^(١) . فقد يكون أنكر ثبوت النسب بعد عدنان وقد يكون إنكاره لاشتغال ابنه بالنسب عما هو أهم منه .

٢ - أنه قد يؤدي إلى الإعجاب بالنسب أو بشرف الآباء ، ولو تفكر العبد لوجد أن الناس كلهم ولد آدم الذي خلقه الله تعالى بيده وأسكنه جنته وأسجد له ملائكته وما أقل نفعه فيهم وفيهم كل عيب وكل فاسق، والعامّة تقول في أمثال هذا المعجب بآبائه : كالخصي يُزهى بذكر أبيه ، وأبو لهب من هو في قربه وشرف نسبه ولم ينفعه ذلك ، وأبو إبراهيم وابن نوح لم ينفعهما شرف نسبهما وقريهما من أنبياء الله . والإعجاب بالنسب لا يدفع جوعاً ولا يستر عورة ولا ينفع في الآخرة ، فهو بحق ضعف عقل وقلة دين^(٢) . وقد قال شيخ الإسلام : فإن كان الرجل من الطائفة الفاضلة فلا يكون حظه استشعار فضل نفسه والنظر إلى ذلك فإنه مخطئ في هذا لأن فضل الجنس لا يستلزم فضل الشخص ، فرب حبشي أفضل عند الله من جمهور قريش^(٣) . وقد روى ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال ﷺ : " فتنة الأحلاس هرب وحرب ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدم رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني وإنما أوليائي المتقون..."^(٤) ، فشرف النسب لا يدل على شرف الشخص .

٣ - أن معرفة المرء لعلو نسبه قد يؤدي به إلى ترك اكتساب الآداب والفضائل اتكالاً على حسبه وما أحسن قول ابن الرومي :

(١) البداية والنهاية ٢٨٠/١٤ .

(٢) بتصرف من الأخلاق والسير لابن حزم / ٧٩-٨٠ . وقد أبدع الرافعي في وحي القلم ٨٥/١ في معالجة ظاهرة التفاخر والتبجح بعلو النسب في قصة رائعة وحري بمن ابتلي بهذا المرض أن يتمعن فيها .

(٣) الاقتضاء / ١٦٤ .

(٤) تقدم تخريجه .

وما الحسب الموروث لا درّده
بمحتسب إلا بأخر مكتسب
فلا تتكل إلا على ما فعلته
ولا تحسبن المجد يورث بالنسب
فليس يسود المسرء إلا بنفسه
وإن عد آباء كراما ذوي حسب
إذا العود لم يثمر وإن كان شعبة
من المثمرات اعتدّه الناس في الحطب
وللمجد قوم ساوروه بأنفس
كرام ولم يعبوا بأم ولا أب^(١)
والعاقل من يكون عصامياً لا من يكون عظامياً كما قال المتنبى :
لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبجديّ سموت لا بجوددي^(٢)
وما أصدق قول الشاعر :
حسبي فخاراً وشيمتي أدبي ولست من هاشم ولا العرب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبي^(٣)
وقول الآخر :
كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك موروثه عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبي

(١) ديوان ابن الرومي ١٥٠/١ - ١٥١ ، والبداية والنهاية ١٤/٦٦٧-٦٦٨ .

(٢) ديوانه ١/٣٢٢ .

(٣) البداية والنهاية ١٤/٧٤١-٧٤٢ ولم ينسبه .

وقد كان والد أبي الفتح عثمان بن جني النحوي اللغوي المشهور عبداً رومياً ،
وقد عُيِّر بذلك فقال :

فإن أصبح بلا نسب فعلمي في الوري نسبي
على أنني أوّل إلى قُرُوم سادة نجب
قياصرة إذا نطقوا أرم^(١) الدهر ذو الخطب
أولئك دعا النبي لهم كفى شرفا دعاء نبي^(٢)

ومما ينسب إلى علي رضي الله عنه :

لكل شيء زينة في الوري وزينة المرء تمام الأدب
قد يشرف المرء بأدابه فينا وإن كان وضع النسب^(٣)

والنسب مع الجهل لا يجدي شيئاً كما قال الشاعر :

العلم ينهض بالخسيس إلى العلا والجهل يقعد بالفتى المنسوب^(٤)

وما أحسن أن يجمع المرء بين شرف النسب وشرف العلم والأدب ويكون
كعبدالله بن معاوية حين قال :

لنسا وإن أحسابنا كرمتم يوما على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا^(٥)

(١) أرم : قال في القاموس في مادة (رم م) : أسكت .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧ / ٢٠ وفي معجم الأدباء ٨٢/١٢ : أولاك بدلا من أولئك .

(٣) معجم الأبيات الشهيرة / ٢١ .

(٤) المستطرف / ٥٥ .

(٥) ديوان عبدالله بن معاوية / ٣٦ ، ونسبت إلى التوكل الليثي بلفظ قريب منه ، واستشهد بها زيد
ابن علي بن الحسين كما في الآداب الشرعية ٢٣٤/١ .

ولما قرئت هذه الأبيات على الملك عبدالعزيز رحمه الله قال : فوق ما فعلوا
فوق ما فعلوا . وقال الأصمعي : أنشدنا أبو عمرو بن العلاء لعامر بن الطفيل - قال :
وهو من جيد شعره -

إني وإن كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر من وراثة أبي الله أن أسمو بأب ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي أذاها وأرمي من رماها بمنكب^(١)
وما أجمل ما قاله الرصافي في قصيدة نحن والماضي حيث يقول :
وما يجدي افتخارك بالأوالي إذا لم تفتخر فخراً جديداً
فما بلغ المقاصد غير ساع يردد في غدٍ نظراً سديداً
وأسس في بنائك كل مجد طريفٍ واترك المجد التليدا
فشر العاملين ذوو خمول إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا
وخير الناس ذو حسب قديم أقام لنفسه حسباً جديداً
إذا الجهل خيم في بلاد رأيت أسودها مسخت قرودا^(٢)

٤ - أن علم النسب قد يستخدم للسب وانتقاص الآخرين ، وقد روى ابن
عبدالبر بإسناده إلى يحيى بن طلحة قال : جئت سعيد بن المسيب فسلمت عليه فرد
عليّ ، فقلت : علمني النسب ، فقال : أنت تريد أن تسابّ الناس ، ثم قال لي : من
أنت ؟ فقلت : أنا يحيى بن طلحة ، فضمني إليه وقال : أثت محمداً ابني فإن عنده

(١) ديوان عامر بن الطفيل / ٢٨ .

(٢) ديوان الرصافي / ٣٥-٣٦ .

ما عندي ، إنما هي شعوب وقبائل وبطون وعمائر وأفخاذ وفصائل^(١) . فإذا كان المرء يعلم من نفسه نزوعاً إلى انتقاص الآخرين فليصلحه وليبتعد عن كل ما يزيد هذا الخلق الدنيء من القراءة في أخبار القبائل وأنسابها . وقد أحسن علماء الإسلام في طي مثالب القبائل ومن وجدوه ألف في المثالب فإن كتابه يطوى ولا يروى لعظيم ضرره .

٥ - أن علم النسب قد يشغل عما هو أنفع منه ، وهذا كثير مشاهد ، فكم رأينا ممن يشار إليهم بالبنان من طلبة العلم اتجهوا إلى علم الأنساب وتركوا ما هو أنفع للأمة منه ، ولذا نجد الإمام أحمد يصرف طلابه إلى العلم الأكثر نفعاً ، فقد سأله رجل يقال له عامر فقال : يا أبا عبد الله بلغني أنك رجل من العرب فمن أي العرب أنت؟ قال لي : يا أبا النعمان نحن قوم مساكين ، وما تصنع بهذا ؟ فكان ربما جاءني أريده على أن يخبرني فيعيد عليّ مثل ذلك الكلام ولا يخبرني بشيء^(٢) .

٦ - أن المشتغل بالأنساب قد يمدح ظالماً أو معروفاً بمخالفة الشرع من أقاربه وقد يفخر بالانتساب إليه ، وقد قال النبي ﷺ : (انتسب رجلان على عهد موسى فقال أحدهما : أنا ابن فلان بن فلان حتى عدّ تسعة فمن أنت لا أم لك ؟ قال : أنا فلان بن فلان ابن الإسلام ، فأوحى الله إلى موسى أن قل لهذين المنتسبين : أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم في النار ، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة)^(٣) .

(١) الإنباه / ٣٩-٤٠٠ .

(٢) الآداب الشرعية ٢/ ٣٠ .

(٣) رواه أحمد والنسائي عن أبي بن كعب رضي الله عنه كما في صحيح الجامع (١٤٩٢) والصحيحة (١٢٧٠) وصححه الألباني .

٧ - أن المشتغل في النسب قد يدَّعي نسباً بلا حجة أو ينفي نسب أحد بلا برهان ، والدافع إلى ذلك إما أن يكون الهوى أو العجلة وعدم التثبت ، والعجلة في مثل مباحث الأنساب مزلة أقدام . وقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال ﷺ : (كفر بامرئ ادعاء نسب لا يعرف أو جحده وإن دق)^(١) . وفي رواية أحمد : "كفر تبرؤ من نسب وإن دق أو ادعاء إلى نسب لا يعرف"^(٢) ، وقال أبو بكر الصديق في خطبة له على الملأ : "كفر بالله ادعاء إلى نسب لا يعرف ، وكفر بالله تبرؤ من نسب وإن دق"^(٣) .

وأسأل الله جلت قدرته أن ينفع بهذا البحث الكاتب والقارئ وأن يغفر لنا من الذنوب خطأها وعمدها وجدها وهزلها والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) رواه ابن ماجه ٩١٨/٢ برقم (٢٨١٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٨٦) .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٧٠٠٠) .

(٣) رواه الدارمي برقم (٢٨٥٩) ورقم (٢٨٦١) .

أهم المراجع

- الآداب الشرعية . ابن مفلح ؛ تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ، الرسالة .
- الأخلاق والسير . ابن حزم ؛ دار الفتح .
- الأدب المفرد . البخاري ؛ تحقيق ناصر الدين الألباني .
- إرواء الغليل . ناصر الدين الألباني ؛ المكتب الإسلامي .
- الإصابة . ابن حجر ، ١٣٢٨ هـ .
- اقتضاء الصراط المستقيم . ابن تيمية ؛ تحقيق د. ناصر العقل .
- الأنساب . السمعاني ؛ تحقيق عبدالرحمن المعلمي ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٨٢ هـ .
- الإنباه عن قبائل الرواه . ابن عبدالبر ؛ تحقيق محمد زينهم ورفقاؤه ، مكتبة مدبولي ، ١٤١٨ هـ .
- البداية والنهاية . ابن كثير ؛ إشراف: د. عبدالله التركي ، دار هجر .
- تاريخ ابن غنام . ابن غنام ؛ تحقيق ناصر الدين الأسد .
- تفسير البغوي . البغوي ؛ مجموعة من المحققين ، دار طيبة .
- تهذيب الرياسة . القلعي .
- جمهرة أنساب العرب . ابن حزم ؛ تحقيق عبدالسلام هارون ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة .
- جمهرة النسب . الكلبي ؛ تحقيق د. ناجي حسن ، عالم الكتب ، ١٤٠٧ هـ .
- الحاوي . السيوطي .
- زاد المعاد . ابن القيم ؛ تحقيق عبدالقادر وشعيب الأرنؤوط ، الرسالة .
- سر الفصاحة . الخفاجي ؛ تحقيق علي فودة ، مكتبة الخانجي ، ١٤١٤ هـ .
- السلسبيل . صالح البليهي ، مكتبة المعارف .
- السلسلة الصحيحة . ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف .

- سير أعلام النبلاء . الذهبي : تحقيق شعيب الأرنؤوط ، الرسالة .
- الشجرة الزكية في الأنساب . يوسف جمل الليل .
- شرح منظومة الآداب . السفاريني ، مؤسسة قرطبة .
- الصاحبى . ابن فارس ؛ طبعة القاهرة ، ١٣٢٨ هـ .
- صحيح الجامع . ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامى .
- طبقات خليفة بن خياط . خليفة بن خياط؛ تحقيق أكرم العمري، جامعة بغداد، ١٣٨٧ هـ.
- طبقات النسابين . بكر أبو زيد ، دار العاصمة .
- طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب . ابن رسول ؛ تحقيق ك . سترستين ؛ تقديم صلاح الدين المنجد ، دار صادر ، ١٤١٢ هـ .
- العدة شرح العمدة . المقدسي .
- فيض القدير . المناوي .
- محجة القرب إلى محبة العرب . زين الدين العراقي ؛ تحقيق عبدالعزيز الزير ، دار العاصمة .
- المرتضى . أبو الحسن الندوي .
- المستطرف . الأبهى .
- مسند الطيالسي . الطيالسي ؛ تحقيق أد . محمد التركي ، دار هجر .
- مصابيح البشرية . أحمد الإدريسي ، ١٤٠٨ هـ .
- معجم الأبيات الشهيرة . إميل يعقوب .
- المغني . ابن قدامة ؛ تحقيق د . عبدالله التركي ، دار هجر .
- المقنع والشرح الكبير . ابن قدامة ؛ تحقيق د . عبدالله التركي ، دار هجر .
- موسوعة العشائر العراقية . ثامر العامري ، ١٩٩٢ م .
- النسب وأحكامه . د . محمود محمد حسن .
- وحي القلم . الرافعي .